على بسَـاط أبيض

أطّلّت شمس كانون الثاني ـ يناير ـ من فوق صنين فخرجت أتقبّل سلامها وألقـي عليهـا سلامـي. وكـانـت الأرض مفروشة ببساط من زَبَد البحر وقد شدّ الصيقع لحمته وسَداه فبان درعاً من لجين. وكانت السماء مرآة مقعّرة جلاها الصقيع فماؤها أصفى من ماء عين الرضيع.

ما كدت أرسل نظـرة خـاطفـة إلى الجبـال المتشـامخة، المتقاعسة، الحاملة على مناكبها القبّة الزرقاء، حتى وجدتني، وعصاي في يدي، أجري على البساط الأبيض أمامي جري الحالم في حلمه وراء طيف عزيز كريم. ولو أنّ سائلاً سألني: إلى أين؟ لما أحَرْت جواباً. فما كنت أسعى إلى نقطة بعينها ولا إلى غاية أعرف ما هي. وجلّ ما في الأمر أنّ ذلك المدى الأبيض، وقد تبرقع برشاش من أشعّة الشمس، كان يجذبني إليه بألف جاذب من السحر والفتنة. وأضعفها أقوى من أن يعانَد.

ها أنا أمرّ بآخر بيت من بيوت القرية التي كانت مسقطاً لرأسي وما تزال تؤويه. وإذ أبلغ حدود العراء